ISSN: 2090 – 0449 Online
UIF Universal Impact Factor, [0.1101].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.1].

المغرب في المخطط الاستعماري الأوروبي-الفرنسي خلال القرن التاسع عشر الميلادي
الخصائص والمميزات

د. عبد العالي المتليني
دكتوراه في التاريخ المعاصر
الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين
جهة فاس – مكناس – المملكة المغربية

مُلَخّصْ

جسد المغرب أخد ابرز المحطات التي اشتد الصراع حولها بشكل عز نظيره بين القوى الإمبريالية أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين الميلادي، وترجع أهمية هذا البلد إلى تمتعه بموصفات قلما وجدت في غيره، سواء من حيث الموقع الجغرافي، أو من حيث الإمكانيات والثروات الطبيعية الاستثنائية التي وقف عندها المعمرون الأجانب بمجرد ما وطئت أقدامهم ارض هذا البلد الاستثناء، وربما كان لهؤلاء سابق معرفة بها قبل ذلك بكثير، فالعلاقات التجارية بين القوى التي قادت الحركة الإمبريالية في هذه الفترة ارتبطت مع المغرب بعلاقات تجارية، أقل ما يمكن القول عنها أنها عادت بالنفع الكبير على هذه الدول، في مجال الإنتاج الزراعي والحيواني، وفي مجال الإنتاج الصناعي، حيث وجد هؤلاء بالمغرب قاعدة صناعية متينة توارثها المغاربة عن الآباء والأجداد. وأبدعوا بهذه الصناعات في كل احتياجات الإنسان، في أدوات التغذية، واللباس والأثاث وغيرها، والتي مكنت بعض الأسر المغربية من تسويق العديد منها في كل أنحاء أوروبا الغربية، من خلال شركات مغربية فتحت فروع لها في أكثر المدن الأوروبية شهرة ورواجًا تجاريًا، ولم تكن هذه المؤهلات إلا غيض من فيض، فالمغرب بلد ظل ينعم بحريته واستقلاله على مر الأزمان، وكون إمبراطوريات جعلت الكثير من الدول المجاورة تخضع لسلطانه في الشمال الإفريقي، وحتى في الجنوب الغربي الأوروبي. هذه المميزات وغيرها هي التي كانت حافزًا للقوى الاستعمارية لوضع مخططات سعت في معظمها لنيل شرف احتلال هذا البلد وإخضاعه لحكمها، وبعض سلسلة من الصراعات والمفاوضات والمؤتمرات كان للفرنسيين حظ الظفر بهذه المستعمرة المهمة (المغرب).

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث:	٢٥	أكتوبر	٢٠١٨
تاريخ قبـول النشـر:	١٤	يناير	٢٠١٩

كلمات مفتاحية:
الاستعمار الفرنسي، الاستعمار الأوربي، البعثات الدبلوماسية، التنافس الإمبريالي، المغرب والاستعمار

معرِّف الوثيقة الرقمي: DOI 10.12816/0054906

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:
عبد العالي المتليني. "المغرب في المخطط الاستعماري الأوروبي-الفرنسي خلال القرن التاسع عشر الميلادي: الخصائص والمميزات".- دورية كان التاريخية.- السنة الثانية عشرة- العدد الثالث والأربعون؛ مارس ٢٠١٩. ص ٣٦ – ٤٦.

مُقَدِّمَةُ

تعرض المغرب طيلة القرن التاسع عشر- وأوائل القرن العشرين لسلسلة من الضغوط الاستعمارية المتنوعة والمتعددة الأطراف، التي كان تستهدف إخضاعه كباقي دول القارتين الإفريقية والأسيوية للآلة الاستعمارية الأوروبية، وتطلعت هذه الدول مجتمعة للانفراد بهذه الدولة المتعددة المزايا والخصائص، المتعلقة بالموقع الجغرافي، والموارد والثروات التي حباها الله بها، وكذا الحمولة التاريخية التي يجسدها زمن طويل من الاستقلال، وتوفر عناصر الدولة الوطنية التي جعلت منها مؤثر في أحداث منطقتها والعالم، بشكل يخالف كثيرًا مما ميز أوضاع الدول المجاورة على هذا المستوى، وعليه، ماهي

السياقات ثم المخططات التي ورد فيها الاستهداف الإمبريالي لما وصف تاريخيا بالدولة الشريفة (المغرب)؟

يعتبر البحث في هذه الفترة الحساسة من تاريخ الدولة المغربية موضوعا دو شجون، فالأحداث تسارعت بشكل غير مسبوق به، كمن كان يدفع البلاد لترتمي في أحضان الإمبريالية الأوروبية رغما عن انفها، وكمن وكل هؤلاء بإنهاء عهود من العزة والأنفة ورباطة الجأش التي عاش عليها المغرب والمغاربة ردحًا من الزمن، ولمقاربة جانبًا من تفاصيل أحداث هذه الفترة ارتأيت أن أبرز قضيتين أراهما تميط اللثام نسبيا عن جانب مما وقع فيه المغرب حينها، أولها: السياق العام الذي ورد فيه الاستهداف الأوروبي لبلاد المغرب الأقصى- في القرن التاسع عشر، وما إذا كانت فرنسا معنية بشكل مباشر بتهيئة الظروف لتنال حظها من هذه البلاد، التي كانت مشروع مستعمرة متميزة في مخيال كثير من رجال الحركة الإمبريالية بها، وفي باقي البلدان الاستعمارية الأخرى في أوربا وحتى خارجها، وثانيها: ملابسات تمكن فرنسا من الظفر بمستعمرة الإيالة الشريفة، بعد عقود من العلاقات غير المتوازنة معها ومع غيرها، وكيف حسم هذا البلد الموقف لصالحه في ظل أخطار محيطة باحتلاله الذي كان بعضها على وشك أن يشعل فتيل مواجهات عسكرية مباشرة بين مجموع القوى الإمبريالية آنذاك.

أولاً: السياق العام للتدخل الأوروبي-الفرنسي في المغرب

يأتي اهتمام الدول الأوروبية بالمغرب وخاصة فرنسا لدواع متعددة منها ما هو اقتصادي وما هو سياسي، وفي جانب آخر بتداعيات وتطورات ضفتي المتوسط خلال القرن التاسع عشر- الناتج عن الثورة الصناعية الكبرى للقرن الثامن عشر- الميلادي، التي شكلت أداة أساسية لانطلاق الحركة الإمبريالية، في مقابل تراجع نفوذ وقوة الدولة العثمانية، التي كان من مخلفاتها تحول الإمبريالية إلى العنصر- الرئيس للسياسة الأوروبية الدولية في نهاية هذا القرن، والتي أدت إلى احتلال 56% من آسيا، و90% من إفريقيا، و99% من أستراليا.[1]

ارتبطت فرنسا مع المغرب خلال القرن التاسع عشر- وقبله بعلاقات ودية شملت مختلف الميادين، وبشكل خاص مجال الامتيازات الاقتصادية التي حصلت عليها- فقد شهد عام 1660م تأسيس " La Compagnie d'Albouzeme et du Bastion de France" من قبل كل من "Michel et Roland Fréjus" من مرسيليا، وظلت العلاقة التجارية قائمة بين المغاربة والفرنسيين والأوروبيين عموما بالموانئ والمدن المغربية، وبالخارج منذ سياسة الباب المفتوح التي تبناها سيدي محمد بن عبد الله (1757-1790م)، الذي فتح الموانئ المغربية أمام السفن المسيحية[2]، ثم من بعده المولى عبد الرحمان بن هشام (1822-1859م) الذي اضطر إلى الدخول في علاقات تجارية مع أوروبا في ظل أزمة وجفاف 1825م الخطيرة جدًا، لاستجلاب الحبوب من أوروبا قصد سد الحاجات الداخلية بعد قطيعة طويلة في ظل سياسة الاحتراز التي تبناها المولى سليمان (1792 – 1822م)[3]، تلاها بداية علاقات منتظمة مع مختلق القوى الأوروبية وخاصة بعد اتفاقية 1856م مع بريطانيا[4]، فبدأ تصدير الحبوب نحو هذه القارة منذ 1826م بعد سنة فلاحية مشجعة[5]، إذ بلغت الكمية المصدرة 250 ألف قنطار بمقابل وصل إلى 7 مليون فرنك[6]، وبرزت الأرستقراطية الفاسية في إطار هذه التبادلات التجارية البينية في القرن التاسع عشر- الميلادي وغيرها من الفئات المغربية، في مانشستر ولندن ومرسيليا وجنوة والتي عرفت باحترافها للتجارة الخارجية[7]، ليس فقط على الصعيد الوطني، بل على الصعيد الدولي إن صح القول، وشكلت عائلات ابن جلون[8] وبرادة وبنيس والصقلي والتازي وغيرهم كثير[9]، ابرز هذه العائلات الأرستقراطية الفاسية التي استقر بعضها بالمراسي المغربية أو استقر بها نوابهم ووكلاؤهم، والبعض الأخر استقر بأوروبا ومصر- والجزائر والسينغال وغيرها[10]، إضافة إلى عائلات يهودية-مغربية، صنف بعضها ضمن تجار السلطان كـ"آل قرقوز[11]" بالصويرة الذين كانوا يمدون رجال المخزن بالصقلي والأثاث الرفيع والأثاث الإنجليزي والشكولاته، وكذلك "آل المالح "وخاصة منهم عمران المالح، الذي استطاع بتنسيق مع مراسله "م.س . بن سوسان" وشركائه في لندن أن يتحكم في المبادلات التجارية بين المغرب وبريطانيا بعد هزيمة إيسلي سنة 1844م[12]، كما اتسعت حركة التصدير المغربي نحو أوروبا من الحبوب والصوف والجلود والحيوانات[13]، وتشكلت الواردات من الثياب القطنية والغزل والسكر والشاي والحرير، فترتب عنها ازدهار تشييد البيوتات الفخمة في فاس أواخر القرن التاسع عشر- الميلادي، واستمر حضور الرأسمال

والتجارة الفاسية في الاقتصاد المغربي حتى في عهد الحماية، لذلك شكل التجار الفاسيين مثلا ثلثي المستوردين من تجار الدار البيضاء في قطاع النسيج سنة ١٩٢٥م[١٤].

جانب من أهم المنتوجات التي تشكلت منها الصادرات المغربية نحو أوروبا من ١٨٣٠ إلى ١٨٤٢م بألف فرنك[١٥].

	١٨٣٠	١٨٣٥	١٨٤٢
الصوف	-	٢٧٧٥	٦٥٨
الجلد	٢٥٦	١٢٦١	١٨٥٧
الشمع	٥٧٢	٥٦٧	٥٩٧
الصمغ	١٥٧	٦٣٢	٤٩١
زيت	-	٤٢٧	٣٦٠
ريش	١٨٣	٣٢	٩٠
النعام	٣٥٢	٨٥	١٨٢
الحبوب	٢١٢	٣٠١	٢٦١
العجول	-	٥٨١	٦٥٦
اللوز	٣٠	١٠٠	-
البلاغي			

وفي الفترة نفسها (١٨٣٠-١٨٤٢)، تشكلت الواردات من مجموعة من البضائع في صدارتها القطن والقطنيات التي انتقلت قيمة المستورد منها من ٢,٧٠٣,٠٠٠ إلى ٤,٣٣٦,٠٠٠ فرنك، والحرير الذي بلغ ٥٧١ ألف فرنك سنة ١٨٤٢م، أما السكر فقد انتقل من ٣٩٧ ألف فرنك إلى ٧٧٦ ألف فرنك، في حين وصلت واردات الحديد والصلب سنة ١٨٤٢ إلى ١,٢٢٠,٠٠٠ فرنك، وانتقلت قيمة المستوردات من الشاي من ٦٠ ألف إلى ١٣٨ ألف فرنك، وكذلك البن من ٧ آلاف إلى ١٠٨ ألف فرنك[١٦]...، مما جعل المؤشرات تتجه نحو ارتفاع الطلب المغربي على المنتوج الصناعي الأوروبي، وتحقق نوع من النجاح الملموس للأوروبيين في دمج السوق المغربية في عادات استهلاكية جديدة تخدم الرأسمال والتجارة الأوروبية في القرن التاسع عشر- الميلادي.

يفسر امتداد العلاقات والتفاعلات بين المغرب وبعض الدول الأوروبية إلى أزمنة بعيدة عن هذه المرحلة، ارتبط بعضها بأحداث فسرت عمق هذه العلاقة، فالمولى إسماعيل (١٦٧٢-١٧٢٧م) كانت له رغبة في التحالف مع لويس الرابع عشر (١٦٦١-١٧١٥م)، إذ كان قد طلب يد الأميرة الفرنسية "دو كونتي De Conti" من لويس ١٤[١٧]، وأيضًا أرسل إليه سفارة الحاج محمد تميم حاكم تطوان سنة ١٦٨٢م بغرض توقيع السلم والصداقة مع فرنسا[١٨]، بحيث وصل إلى باريس لهذا الغرض عبر عدة مدن منها دوفانس ونانت.

وتغيرت معالم هذه العلاقات مع الاحتلال الفرنسي للجزائر وما ترتب عن ذلك من دعم شعبي، ومن قبل السلطات المغربية للمقاومة الجزائرية، بعد مبايعة أهل تلمسان للسلطان المغربي الذي ألزمه الواجب الديني الدفاع عن رعاياه [١٩]، وخاصة دعم مقاومة "عبد القادر الجزائري"[٢٠] بغرب بلاده ضد الفرنسيين، إذ كانت الحرب ضارية بين الطريفين لمدة سبع سنوات على الأقل (١٨٣٠ - ١٨٣٧م)[٢١]، يضاف إليها فشل الفرنسيين في الجبهة الشرقية وبالضبط في منطقة قسنطينة [٢٢]، لكن هذا الدعم المادي والمعنوي أنبأ عن حتمية المواجهة الفرنسية المغربية [٢٣]، بحيث ستجسدها معركة " إيسلي" سنة ١٨٤٤م بقيادة طوماس بوجو[٢٤]، بعدما تمكنت فرنسا من إحكام قبضتها على الغرب الجزائري[٢٥]، وانتهى الصدام بين الدولتين باتفاق طنجة الذي وقع في ١٠ دجنبر ١٨٤٤م[٢٦]، ثم معاهدة "لآلة مغنية [٢٧] في ١٨ مارس ١٨٤٥م[٢٨] التي حددت الحدود الفاصلة بين الإيالة الشريفة والمستعمرة الفرنسية بالجزائر، وتوقف دعم المغرب للأمير عبد القادر[٢٩]، وتم الاتفاق على أن خط الحدود بين الإيالتين ممتد من البحر إلى ثنية الساسي[٣٠]على امتداد ٧٠ كلم جنوب شرق وجدة[٣١]، وتركت الحدود الصحراوية غير مرسمة[٣٢]، تحت ذريعة أن ذلك يجب أن يخضع لتحركات المجموعات البشرية، التي استغلتها فرنسا للادعاء في أكثر من مرة أن قبيلة ما تجاوزت حدودها واقتحمت أراضي تابعة للجزائر[٣٣].

ولم تكن مساندة المغرب لعبد القادر الجزائري الذريعة الوحيدة للتدخل الفرنسي- بالمغرب، بل كان المغرب حاضرًا بشكل دائم ومستمر في المخطط الاستعماري الفرنسي- العام، وكانت فرنسا تتحين جميع الفرص لإيجاد المبررات للتدخل في المغرب وانتزاع بعض أراضيه، فشكل لجوء هذا الأمير إليه ذريعة منحت الفرنسيين المبرر للتدخل في شؤونه واختراق حدوده من حين لآخر[٣٤]، ومنها أيضا تأزيم وضع المغرب المالي عبر استغلال حوادث بعينها لمطالبته بجبر الضرر، فعلى سبيل المثال اعترض أحد المغاربة بالقرب من العرائش لوكيلها بالدار البيضاء "فريو Ferrieu" في طريق لطنجة برفقة ابنه سنة ١٨٤٩م، حيث أسقط هذا الأخير فيما يبدو على فرسه،

فاتخذه المفوض الفرنسي "ليون روش"[٣٥] سببا ليحمل النائب السلطاني "بوسلهام بن علي" عامل العرائش وطنجة مسؤولية ما حدث، ووصل الأمر إلى درجة قطع العلاقات المغربية الفرنسية، ومغادرة القنصل الفرنسي "دوشاسطو" البلاد احتجاجًا على إجراءات المخزن، الذي للأسف عاقب المعني واستجاب لجميع الشروط الفرنسية [٣٦].

لقد كانت الفترة الواقعة بين ١٨٤٤ و ١٩١٢م على وجه الخصوص، الفترة التي توالت فيها الضربات العنيفة على المغرب من قبل القوى الاستعمارية الأوروبية، يضاف إليها التناقضات المتعددة الناتجة عن الانهيارات العسكرية، وتنامي التجارة البحرية على حساب البرية، وازدياد انسيابية الرواج التجاري الداخلي، والمتطلبات الضريبية المفرطة للمخزن[٣٧] «يشكل احتلال الجيش الفرنسي للجزائر يوم 0 يوليوز ١٨٣٠م، بمعنى من المعاني، بداية عهد جديد وتحولا تاريخيا ليس للجزائريين فحسب، بل للمغاربة أيضا، إذ قال قنصل فرنسا بطنجة: إن بلوغ نبأ هذا الاحتلال الذي نقله "يهودا بن عليل" (Binoliel Judah) ممثل السلطان في جبل طارق قد أصاب عامة المسلمين والعرب بالذهول...، وأصيب المغاربة بخيبة أمل قوية...، وذلك بعد أن أدرك المغاربة بسرعة الأخطار التي تهدد استقلالهم جراء استقرار قوة أوروبية استعمارية على الواجهة الشرقية المتاخمة لحدودهم، ساعية في نشر قيمها وتحقيق أطماعها الترابية [٣٨]» ناهيك عن انطلاق وامتداد سنوات من الجدب والجفاف التي استمرت من ١٨٤٥ إلى ١٨٥٠م[٣٩].

وجسد ضم توات وأحوزها سنة ١٩٠٠م واحتلال الشاوية في ٧ غشت ١٩٠٧م[٤٠] (٢٥جمادى الثانية ١٣٢٥هـ) ثم وجدة في السنة نفسها (عام ١٩٠٧م) البداية الفعلية لانفراد فرنسا بالمغرب، ففي الوقت الذي بدأت فيها الحملات العسكرية الفرنسية على بعض الأراضي المغربية المجاورة للمنطقتين السالفتي الذكر ما بين ١٩٠٧ و١٩١٢م، انطلقت بالتزامن معها الحركات التحريضية ضد الفرنسيين بمنطقة الشاوية باسم المولى عبد الحفيظ، بقيادة الحاج عبد المعطي[٤١]، بعدما تم استدعاء هذا الأمير لتولي عرش المغرب من مراكش، بعد حوالي ١١ يومًا من تاريخ التدخل الفرنسي بالشاوية كسلطان للجهاد [٤٢]، وتولى وزير فرنسا بطنجة "M. Regnault" [٤٣] حملة دبلوماسية للغرض نفسه[٤٤].

ثانيًا: تنامي حدة التنافس الإمبريالي الأوروبي خلال القرن التاسع عشر الميلادي والاتجاه نحو الحسم الفرنسي

حظي المغرب في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن ٢٠م باهتمام متزايد من قبل دول أوربا الغربية، وخاصة منها فرنسا وبريطانيا وإسبانيا وإيطاليا وألمانيا[٤٥]، وكذلك من قبل الدول الإسكندنافية، والولايات المتحدة الأمريكية، بالاستناد إلى مقررات مؤتمر مدريد (١٨٨٠) ومؤتمر الجزيرة الخضراء (١٩٠٦م)[٤٦]، علاوة على مقررات مؤتمر برلين لسنة ١٨٨٥م الذي نص على أن الاستعمار الأوروبي "يتوخى تحقيق الرفاه المعنوي والمادي للساكنة المحلية[٤٧]"، وكانت الدولة الشريفة قطب الرحى في الدوافع الخفية والمعلنة التي جسدت المحرك الأساسي لمخططاتها، «ومما ينبغي أن يسجل هنا : أن المغرب في هذا الطور اشتد التنافس الدولي حوله، فقد صار موضع اهتمام أربع دول ...، إسبانيا وإنجلترا وفرنسا وألمانيا ...، أما إسبانيا فكان اهتمامها بالمغرب راجع إلى الصلة التاريخية القديمة التي كانت تربط بين البلدين، وأما اهتمام إنجلترا فكان اقتصاديا وحربيا، وكان الاهتمام الأخير منحصرا في منع أي دولة أوروبية قوية من ترسيخ أقدامها في ساحل مراكش الشمالي، الذي يطل على البحر المتوسط، حتى لا يكون وجودها هناك مهددًا لحصن جبل طارق، وأما اهتمام فرنسا فكان استعماريًا محضًا، لان فرنسا لم تتطلع إلى ابتلاع تونس في شرقي الجزائر ومراكش في غربها، إلا لكي تؤسس في شمال إفريقيا إمبراطورية شاسعة ....، أما ألمانيا فكان تجاريًا بحتًا[٤٨]».

كما أسلفت الذكر، فالاهتمام بالمستعمرات عموما ومنها المغرب، يعود إلى وضع ساد بأوروبا خلال هذا القرن، والمتمثل في الانقلاب الصناعي وما أحدثه من تحولات اقتصادية وسياسية، والذي جعل الاستعمار أحد الملامح الكبرى للسياسة الخارجية الأوروبية، وأصبح الاصطدام الحضاري ضرورة ملحة، لذلك ظهرت جملة من النظريات التوسعية الداعية إلى السيطرة والاستيلاء والاستغلال الإنساني تلبية لدوافع اقتصادية واجتماعية ملحة للأوروبيين، تلتها رغبة في اكتساح أسواق جديدة لتصريف فائض المنتوجات وجلب المواد الأولية نحو هذه القارة[٤٩]،- أي الاختراق بواسطة التجارة[٥٠] -، هذه المتطلبات جعلت التنظير السياسي لدى الدول الصناعية لا يظل حبيس القارة الأوروبية، بل

تجاوزها ليشمل غيرها من القارات خاصة إفريقيا و آسيا، والذي لخص إجراءات مراحله " محمد بنزكور" في ثلاث محطات:

- مرحلة الإخضاع والسيطرة بواسطة الحملات العسكرية العنيفة، أو الأقل عنفا، التي تؤدي إلى فقدان المعدات والأشخاص.
- مرحلة الاستغلال الصناعي والفلاحي للمجال الذي غزي، لجعله مربح بشكل سريع عبر استعمال اليد العاملة من الأهالي، والتي تشغل براتب هزيل، بالتزامن مع وضع إدارة استعمارية تدير شؤون المجال المحتل.
- مرحلة الاستيعاب بعد بضعة عقود، ثم ضبط السكان الأصليين في اتجاه دمجهم في مخططات الاستغلال التي سطرها المتربول[٥١].

يجب ألا نغفل في هذا الإطار، أن فرض الحماية على المغرب كان تتويجا لعملية إدماجه في السوق الرأسمالية منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي[٥٢]، هذا القرن (يعني القرن التاسع عشر الميلادي)، الذي شهد صعوبات مالية غير مسبوقة لدى الدولة المغربية[٥٣]، والتي أحسنت الدول الإمبريالية الأوروبية استغلالها لتضع استراتيجياتها للتغلغل المالي بالمغرب[٥٤]، ومع احتلاله رسميًا بدأت السلطات الاستعمارية تسعى إلى أن تجعل من كل المناطق التي أخضعتها تسير وفق نمط الإنتاج الرأسمالي، التي تقوم على ربط المغرب نهائيًا بالمتروبول الفرنسي[٥٥].

نجحت فرنسا في اقتطاع الجزائر من جسد المغرب الكبير سنة ١٨٣٠م[٥٦]، في وقت شعرت فيه بأهميته وأهمية إمكانياته، والمغرب لم يكن بدوره في منأى عن هذه التطورات، إذ استطاع التسرب الاقتصادي الأوروبي أن يجد طريقه إلى الجسد المغربي، خصوصا انه من الدول القلائل التي ظلت تحافظ على استقلالها، وتذرعت فرنسا بالحقوق التي يخولها لها قرب مستعمرتها بالجزائر للانفراد بالمغرب،« بعد احتلال الجزائر كان هناك اختيارات وإمكانيات بالنسبة للتجارة الأوروبية، ولوج السوق المغربية من جهة الشرق، أو من جهة الغرب، من جهة البر أو من جهة البحر، فانتصر الاحتمال الثاني، وبرزت الواجهة الساحلية على حساب الشبكة الداخلية والموانئ على حساب المراكز التجارية التقليدية، والانتظام الأفقي على حساب الانتظام العمودي[٥٧]»، لذلك رأت فرنسا أن تقدم عملية مد السكة الحديدية بالجنوب الغربي الجزائري كان يقربها من فاس (المغرب) شيئا فشيئا [٥٨] في إطار المفهوم الاستعماري الفرنسي- الذي تبلور لديها منذ أواخر القرن التاسع عشر- الميلادي، والذي يتحدث عن المجال الاستعماري الذي سمي "إفريقيا الفرنسية L'Afrique Française" والتي كان المغرب جزءا منها [٥٩]، والأمر نفسه تذرعت به إسبانيا صاحبة الاحتلال بسبتة ومليلية، بينما توقفت إنجلترا في الدفاع عن وحدة المغرب واستقلاله بدءًا من سنة ١٨٨٠م[٦٠] .

ومن خلال جملة من المظاهر الحضارية، تجسدت بصفة خاصة في البعثات الدبلوماسية والبعثات الدينية التي سهلت توغل القوى العسكرية والإدارية والاستعمارية، وزودت الغزاة بمعلومات دقيقة في إطار مهامهم الإستشراقية، سواء كانوا كتاب أو رحالة ومغامرين، وحتى عملاء المخابرات بالتوصيف المعتمد اليوم[٦١]، أو من خلال المعاهدات التجارية التي كان من نتائجها ضياع استقلال المغرب، تمكن الأوربيون من الخروج بالمغرب من جديد من طور العزلة والانطواء على الذات إلى معانقة الأجواء الأوروبية[٦٢]، وتمكنت فرنسا في مطلع القرن من دفع المغرب لتوقيع اتفاقيات جديدة خاصة بالحدود، بعد صمود في مقاطعة السلطات الفرنسية بالجزائر لأزيد من خمسين عام، وأولها معاهدة للآلة مغنية سنة ١٨٤٥م، ثم بروتكول "اتفاق باريس" في ٢٠ يوليوز ١٩٠١ [٦٣]، الذي جاء تتويجًا لاحتلال فرنسا لواحة توات وتيدكلت وكورارة سنة ١٩٠٠[٦٤]، وحدد الشروط التي تمكن من تطوير التعاون بين فرنسا والمغرب"، والاعتراف بواقع الحال بتوات وضبط والاعتراف بمجال الحدود المغربية الجزائرية بصيغته الجديدة [٦٥]، وبعض الاتفاقيات الإقليمية "كاتفاقيتي الجزائر" لـ ٢٠ أبريل ١٩٠٢ التي جاءت تتميما للاتفاقية السابقة ومعاهدة ١٨٤٥م و١٩٠١م، ثم اتفاق ٧ مايو ١٩٠٢ "، الذي نص على ترسيم الحدود بين الدولتين استنادًا إلى ما سبقه من اتفاقات ابتداء من أتفاق ١٨٤٥م، ونص كذلك على الرسوم في مراكز الحراسة، وتحصيل المستفادات في الأسواق المشتركة مع مراعاة خصوصيات منطقة الحدود[٦٦]، والتي نصت مجتمعة على اعتراف المخزن لأول مرة بالأمر الواقع في مناطق الحدود، أي إقرار حرية التجارة البرية ومرور الأشخاص «في نهاية التوقيع على السلم مع فرنسا -١٨٤٥- ...، ارتفع عدد الأوروبيين من المسافرين والتجار بالموانئ المغربية، حيث تزايدت ونمت علاقتهم بالأهالي ونقط الاتصال معهم، إذ انخرطوا في تجارة جميع البضائع ...[٦٧]»، فضلاً عن

الالتزام المتبادل في ميدان الأمن بالحدود[٦٨]، ووعدت فرنسا بمساعدة المغرب في تأمين الجهات الحدودية، غير أن هذه الإجراءات لم ترض السلطات الفرنسية بالجزائر، التي كانت تعول على نجاح ثورة "بوحمارة" [٦٩]، لذلك ما لبث أن انتفضت منطقة فكيك أمام الحاكم الجزائري في يوليوز ١٩٠٣م بدعم من قصور المنطقة، فقررت فرنسا بقيادة "أوجين اتيان" تكليف "ليوطي" بتهدئة الجنوب الوهراني[٧٠]، والذي عين فيما بعد على منطقة "عين الصفراء" بعد رجوعه من مدغشقر[٧١]، مع العلم أن أول تجربة لليوطي في المستعمرة الجزائرية تعود إلى فترة ما بين ١٨٨٠و ١٨٨٢م، وهو تاريخ أول استكشاف لليوطي للشمال الإفريقي[٧٢]، وتم استكمال عقد هذا المخطط بتنظيم مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة ١٩٠٦م الذي وضع قطار الاحتلال الفرنسية على السكة الصحيحة التي مهدت لاستفرادها بالمغرب.

وقد كان لتزايد هذا الاهتمام الأوروبي – ومعه فرنسا-بالمغرب في نظر عبد الواحد الناصر ثلاثة أسباب رئيسة:

جعل **السبب الأول** يتمثل في الموقع الاستراتيجي للمغرب نتيجة امتداد ساحله الشمالي على البحر الأبيض المتوسط، وتحكمه في مضيق جبل طارق الذي يعتبر من أكثر المناطق الدولية نشاطا في طرق التجارة العالمية، ثم انفتاحه غربا على المحيط الأطلسي، ناهيك عن الأدوار التجارية التي ظل يمارسها في الربط بين الجنوب والشمال - وعلى الرغم من تغير مسار الطرق التجارية -، أي بين أوروبا وإفريقيا جنوب الصحراء، والذي قامت به اسر عريقة في الوساطة التجارية، خاصة في الجنوب المغربي إلى حدود القرن التاسع عشر الميلادي، ومنها على سبيل المثال لا الحصر "أسرة عبيد الله أسالم" المنتمية لآيت موسى أعلي إحدى قبائل "تكنة"، الممتدة جنوب واد نول، والتي اشتهرت بالتوسط بين الصويرة وأسواق إفريقيا جنوب الصحراء، وأسرة "هاشم شيخ زاوية تازروالت "وقاعدتها "إليغ"[٧٣]، والتي اشتهرت بالتبادل التجاري مع مؤسسات أوروبية عبر مراسي محلية[٧٤]، وكانت تسعى إلى توقيع اتفاقية تجارية مع إحدى الدول الأوروبية لربط بعض أسواق إفريقيا السوداء بمدن أوروبية عبر ميناء بساحل "تكنة"، مستغلة توتر علاقة المخزن بفرنسا على وجه الخصوص، ووصل الأمر بمحمد بيروك حد الاستعداد والاقدام على توقيع اتفاقية مع" ماكينزي" ممثل "شركة شمال غرب إفريقيا" في أبريل ١٨٧٩م، تسمح لها بحق احتكار التبادل التجاري مع منطقة نفوذ "آل بيروك" عبر رأس جوبي (طرفايا)، مما حفز شركة فرنسية للتفاوض مع المرابط "الحسين أهاشم" من أجل تحقيق مشروع مماثل[٧٥]، رغم أن رغبة الفرنسيين في إقامة مشروع بمنطقة واد نون معقل نفوذ "آل بيروك" تعود إلى ١٨٤٤م، حينما أرسلت سفينة للاتجار مع هؤلاء على متنها الوكيل الرئيسي للأسرة "بوعزة بن العواد الصويري"، والذي عارضه المخزن بمجرد ما سمع به، وراسل خليفته بمراكش "سيدي محمد" الذي بدوره راسل للغرض نفسه شيخ بيروك "الحسين أو هاشم الإليغي" مما حال دون وصول سفينة الفرنسيين للميناء، وحفزت هذه الأسرة بتخصيص جزء من تجارة ميناء الصويرة لها، حفظا على سيادة المخزن ابتداء من ١٨٤٩م[٧٦].

وحدد **السبب الثاني** في كون المغرب أصبح ميدانًا هامًا من ميادين التنافس الاستعماري، خلال القرن التاسع عشر- لتوفره من جهة على ثروات طبيعية هامة ومتنوعة[٧٧]، ولأنه كان يتيح إمكانيات كبيرة أمام استثمار رؤوس الأموال الأوروبية في مشاريع ضخمة، كإنشاء الموانئ وخطوط السكة الحديدية والطرق المعبدة والتلغراف وغير ذلك، ولذلك كان من الطبيعي أن تكون الدول الرأسمالية الكبرى كفرنسا وبريطانيا وألمانيا من أكثر الدول اهتماما بمصير المغرب[٧٨].

أما **السبب الثالث**، فيتمثل في سعي ألمانيا في أواخر القرن التاسع عشر، بعد أن تحولت إلى قوة تجارية وبحرية كبيرة، إلى امتلاك إمبراطورية واسعة تتناسب مع قوتها الصناعية والعسكرية[٧٩] المتنامية والمتصاعدة، وكان المغرب أحد أهم الأماكن التي شكلت ركيزة من ركائز تلك الإمبراطورية المأمولة، والتي أصرت على إيجاد موطئ قدم لها فيما يشهده من تحولات، وأن تكون ضمن بقية الدول الإمبريالية التي تحدد مصير هذا البلد المتنافس حوله، لذلك عملت على تزويده بمدافع ساحلية ابتداء من ١٨٧٧م، وأمدته مصانع "Krupp" بأزيد من ٦٠ طن من البنادق، بتكلفة ١٫٩ مليون فرنك فرنسي[٨٠].

أما **الأسباب الأخرى**، فترتبط بوضعية البلاد عموما طيلة القرن التاسع عشر، حيث تداعت على المغرب في هذا القرن النوائب والنكبات الاقتصادية والاجتماعية، مثلتها الأوبئة والجفاف والفياضانات والقحوط[٨١]، التي أثرت في المعيش اليومي للسكان بعد تضرر القطاع الفلاحي، وخاصة عندما قرنت المجاعات بالأوبئة،

دراسات

وأكثرها خطورة تلك التي عايشها المغرب سنة ١٨٦٧م و ١٨٧٨م، وغزو المواد التجارية الأوربية للأسواق من جراء المعاهدات التي تسابقت القوى الإمبريالية لفرضها على المغرب[٨٢] خاصة بعد احتلال الجزائر بما فيهم الروس [٨٣]، والتي أسهمت في تهاوي قيمة العملة المغربية ومعها الاقتصاد المحلي[٨٤]، فتم تعويضها بإثقال كاهل السكان بالضرائب غير الشرعية، ودخل المخزن المغربي في سلسلة من الإصلاحات البنيوية التي انعكست تكاليفها بشكل خطير على مالية وخزينة الدولة[٨٥]، هذا دون إغفال حالة التجزئة والانقسام الذي ميز بيت الأسرة الحاكمة في بداية القرن العشرين، انتهى بمواجهة بين المولى عبد العزيز وعبد الحفيظ، والتي آلت نتيجتها للأخير الذي اعتلى عرش مغرب ما قبيل الحماية[٨٦].

وبعد مدة طويلة من إسدال الستار على فصل من التنافس الحاد بين الدول الأوروبية حول خيرات المغرب وثرواته، أتى خطاب الليوطي في الغرفة التجارية لبوردو في فبراير ١٩٢١م، أبرز من خلاله تلك الأهمية الاقتصادية لهذه المستعمرة الفرنسية الجديدة، يقول «المغرب جد غني، وهو منظور لتطور وتنمية تجارية هائلة، تسمح بوفرة الخير لأكثر من واحد، ثم إن واحدًا من أبناء مرسليا، "شارل رو" الذي يترأس الشركة العبر أطلنتية يدعم بقوة تعزيز علاقات بوردو التجارية مع المغرب»[٨٧]، أما الاستراتيجية فقد كانت حسب "دانييل ريفي" قائمة على خطط أعدها السلك الدبلوماسي الأوروبي في طنجة والتي تضمنت «نقل مقر السلك الدبلوماسي الأوروبي من طنجة إلى وسط المغرب، وتعزيز البعثات العسكرية بالمغرب، وتنمية البعثات العلمية، ثم الرفع من حجم المعاملات التجارية مع المغاربة في المناطق الداخلية للمغرب»[٨٨].

وفيما يلي خريطة لأخصب المناطق المغربية وخطوط السكة الحديدية في عهد الحماية:

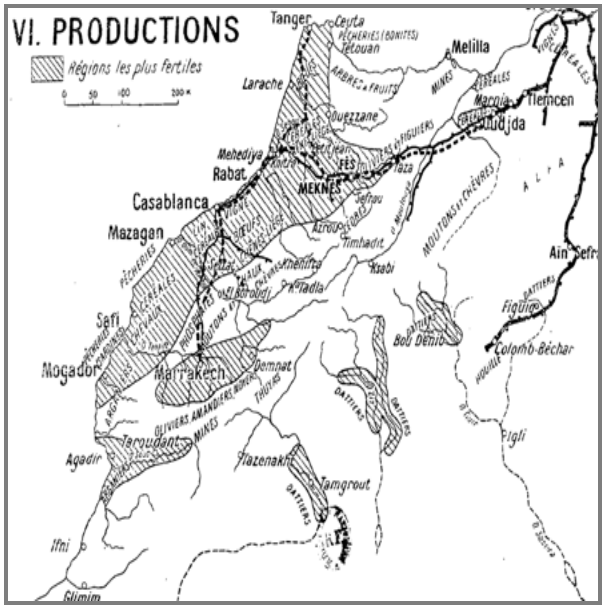

ظلت الموانئ المغربية في خضم هذه التطورات، وخاصة تلك الموجودة بالشواطئ الأطلسية في مرمى مطامع ومطامح القوات الاستعمارية الأوروبية على مر الأزمنة والعصور، ففي ماي ١٨٩٣م قام القبطان "شلومبرك" رئيس مخابرات المشاة ضمن البعثة العسكرية الملحقة بالرباط التابعة لمفوضية الجمهورية الفرنسية بالمغرب بإعداد وثيقة "*مذكرات حول موانئ الشواطئ الأطلسية للمغرب* "إذ كانت موجهة لوزير الحربية، وكانت تتكون من جزئين:

الجزء الأول: الموانئ المفتوحة للتجارة: يتعلق بمجموعة من الموانئ منها، ميناء العرائش، والرباط، وسلا، والدار البيضاء، مزكان (الجديدة)، وآسفي، وميناء مكادور(الصويرة).

الجزء الثاني: الموانئ غير المفتوحة للتجارة والنقط الممكن استعمالها: وتتكون من أصيلة، والمهدية، وفضالة (المحمدية)، ثم ميناء أزمور.

وقد تنوعت أدوار هذه الموانئ خلال هذه الفترة، فقد وصل إشعاع ميناء العرائش وعلاقاته التجارية لتصل إلى كل الغرب، ويتحدد مجال نفوذه من نهر سبو جنوبًا إلى اصيلة شمالاً، وشرقًا يصل إلى جهة وزان وفاس ومكناس. أما ميناء الرباط فظل يستقبل قسطًا مهمًا من التجارة المتوجهة إلى فاس، والتي ظلت القوافل (الدواب)الأداة التي تنقل هذه السلع إليه. وتميز ميناء المهدية بتوفره على مقومات تجعله مهما في القادم من الأيام، حيث عددت المذكرة السالفة الذكر مجموعة من المقومات منها: وقوعه على أحد أهم الأنهار المغربية والمتمثل في نهر سبو، الذي يمر على بعد بضعة كلومترات من مدينة

فاس، ويصل اتساعه عند المصب إلى ما يقرب من ٥٠٠ إلى ٦٠٠ متر، وعلى عمق يؤهله لاستقبال سفن ذات أحجام مختلفة، خصوصًا تلك التي لا تحتاج إلى عمق كبير[٨٩].

خَاتِمَةٌ

نوعت الدول الأوروبية من أشكال الضغوط التي مارستها على الإيالة الشريفة طيلة القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين، ولم تفوت في إطارها أي فرصة من أجل بلوغ مطمحها في إخضاع هذه الدولة التي ظلت تحافظ على استقلالها الظاهري لمدة طويلة من الزمن، في سياق دولي اتسم بتهاوي الدول المجاورة تباعا أما آلة الاحتلال والحماية الأوروبيتين، ورغم تحولات منطقة الشمال الإفريقي طيلة هذه الفترة، وصعود نجم الاحتلال والحماية الفرنسية في قسمها الغربي، إلا أن باقي الدول الاستعمارية المنافسة لم تيأس من اللجوء إلى مختلف الوسائل لتجد موطئ قدم لها على أراضي الدولة المغربية، والذي كان من نتائجها توصلها إلى الاتفاقيات الودية مع فرنسا في إطار تقاسم النفوذ الاقتصادي بهذه الدولة، وتوزيع الأدوار في استغلال خيراتها ومقدراتها، بل مقايضة المغرب ببلدان أخرى فيما بينها، عبر إطلاق يد بعضها البعض في ما تم مقايضته، ولم يكن هذا الحل النهائي لتنافسها حوله، بل عمدت إلى عقد مؤتمر الخزيرات كآخر الحلول وقتها لتوضيح منتهى ما يمكن الوصل إليه، من الاستفراد بهذا البلد، والذي كانت نتائجها سببا في تأزم الوضع الفرنسي- الألماني، الذي توج باتفاق ودي بينهما أواخر ١٩١١م.

الهَوامِشُ:

(1) Benzakour Mohamed, **Le Traité du Protectorat: Fés le 30 Mars 1912**, Edité Par la Haut-Commissariat aux Anciens Résistants et Anciens Membres de l'Armée de libération, Rabat, Imprimerie Bouregreg, 2014, .p17.

(2) Julien Charles-Andrés, **Le Maroc face aux Impérialismes 1415- 1956**, Paris, Edition J.A, 1978, P27.

(٣) بن بوسلهام خديجة، **المخزن والمجتمع في النصف الأول من القرن التاسع عشر: عهد مولاي عبد الرحمان بن هشام ١٨٢٢-١٨٥٩م**، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، دار أبي رقراق، الطبعة الأولى، الرباط،٢٠١٣م، ص ص١٨١ – ١٨٢.

Pennell C.R, **Morocco since 1830: A History**, New York University Press, New York, 2000, p23.

(4) Claude Allain Jean, **Agadir 1911: Une Crise impérialiste en Europe pour la conquête du Maroc**, publications de la Sorbonne, Série internationale -7, Paris, 1976, p11.

م.س، ص١٨٤. (5) بن بوسلهام خديجة، **المخزن والمجتمع.....**،

(6) Pennell C.R., **Morocco since 1830.....,** op.cit, p24.

(7) Miège Jean –Luis, **Le Maroc et L'Europe 1822 -1906**, Presses universitaires de France, Tome II, 1962, P28.

(8) Pennell C.R., **Morocco since 1830....,** op.cit, p24.

(9) Kninah Larbi, **L'Evolution des structures économiques sociales et politiques du Maroc au XIX (éme) siècle (Fès: 1820 -1912) :L'ouverture au marché mondial et ses conséquences**, Fés, Imp Info-Print, P200.

(١٠) برحاب عكاشة، **التجارة في مغرب القرن التاسع عشر**، **بحوث**، كلية الآداب المحمدية، العدد الثاني والثالث، ١٩٩٠، [٢٧-٤٦]، ص٣٣. وقد تعددت أراء الباحثين حول احتلال التجار الفاسيين لهذه المكانة، ومن ضمنها أن هؤلاء ظلوا متأصلين بالمدن عكس التجار المراكشيين، وذلك لعدة مبررات من قبيل انصهار عدة عناصر بشرية خلقت لدى الفاسيين نفوسًا تعج بالحيوية وحب المغامرة، إضافة إلى موقع فاس في ملتقى الطرق التجارية التقليدية والذي كان حافزًا على مزاولة التجارة، يضاف إليها عامل العاصمة التي ظلت تحتلها فاس منذ الأدارسة ببلاد المغرب الأقصى، وكان لبعض التجار من مناطق أخرى هذه الحظوة نفسها، من الرباط وسلا، خاصة عائلة حصار وزنيبر وبركاش وبريطل، والتي عرف عنها تمرسها في القرصنة البحرية، ثم عائلات من تجار طنجة وتطوان الذين استفادوا من قربهم من أوروبا ومن أشهر تجارهما: كل من الرزيني، بريشة والخطيب بتطوان والغسال بطنجة.

(١١) انهارت الدور التجاري "لأل قرقوز" بصفة نهائية سنة ١٩٠٠م، بعدما لم تستطع تأدية ديونها للأجانب، وسحبت من هارون قرقوز الحماية الأمريكية.

(١٢) حسني علي، **التحول المعاق- الدولة بالمغرب الحديث: مساهمة في تاريخ المؤسسات والتحولات الاجتماعية ١٨٣٠-**

١٩١٢م، الطبعة الأولى، مؤسسة كونراد أدناور، ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠م، ص١٤٠. الصديقي عبد الرزاق، **اتفاقية لآلة مغنية وملابساتها، بحوث**، العدد ٩، كلية الآداب المحمدية، ٢٠٠١، [٩١ - ١٠١]، ص٩٢. يضيف بعض ملابسات حدوث هذه المعركة التي أوجزها في رفض احتجاز الأمير عبد القادر في أحد موانئ الإيالة الشريفة، واستفزاز الفرنسيين بإنشاء بعض المراكز العسكرية قرب للآلة مغنية، وتجاوز واد تافنا وبناء حصن عسكري فرنسي من قبل الجنرال "De la Morcière" ورفض التراجع عن ذلك.

(١٣) مليح هشام، **المخزن والجباية في مغرب ما قبل الحماية**، مطبعة الأمنية، الرباط، ص١٦٠.

(١٤) سيكار نورمان، **البنى المجتمعية الاقتصادية ونشوء برجوازية حضرية في المغرب قبل الاستعمار**، ترجمة محمد نجمي الروداني، **مجلة كلية الآداب الرباط**، العدد ١٨، الرباط، ١٩٩٣، [١٥١ـ٢٠٤]، ص١٧٠ـ١٧١.

(15) Miège Jean –Luis, **Le Maroc et L'Europe.....,**op.cit., P١٣١

(16) Ibid, P135.- Ménard André, **Histoire d'Essaouira Mogador une destin singulier**, Editions la Croisée des chemins, Séguier, Casablanca, 2011, P123.

(17) Homo Roger, la Pacification du Maroc**, La Renaissance du Maroc –dix ans de Protectorat 1912-1922, R.G.R.F.M, Rabat,** s.d, p79.- Galant Mercure et penz Charles, **Une ambassade Marocaine a la Cour de Luis XIV 1682**, p37.- Piquet Victor, **Le Maroc: Géographie – Histoire mise en valeur,** Dar Alaman, Bierut, 2014, p178.

(18) Galant Mercure et penz Charles, **Une ambassade Marocaine...**, p36.

(١٩) برحاب عكاشة، **شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي ١٨٧٣ – ١٩٠٧م**، منشورات جامعة الحسن الثاني، سلسلة أطروحات ورسائل٣، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، ص ٩٦. يضيف أن سوء سيرة خليفة السلطان في تلمسان وتحريض الفرنسيين من وهران ساهم في انسحاب الجيش المخزني وخليفة السلطان في مارس 1831م، وتولى زعامة المدينة عبد القادر بن محي الدين الجزائري كزعيم للجهاد بغرب الجزائر وبين قبائل الحدود.

(٢٠) تجدر الإشارة إلى أن فرنسا طلبت من السلطان المغربي اعتقال المجاهد عبد القادر الجزائري في احد الموانئ المغربية، وذلك في رسالة وجهها قنصل فرنسا بطنجة "دونيو" de Nion، فأجابه باشا العرائش بوسلهام بن علي أزطوط في ٣مارس ١٨٤٤م بقوله «**إن المخزن لا يمكنه اعتقال عبد القادر لأنه من رعايا الباب العالي**»

(٢١) مؤنس حسين، **تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي**، العصر الحديث للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، المجلد الثاني، الجزء الثاني، ص٣٨٩.

(٢٢) مناصرية يوسف، **مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب ١٨٣٢ ـ ١٨٤٧**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٩٠، ص ٢٣.

- Julien Charles –André, **Le Maroc Face .....**,op.cit, PP٢٨-٢٩.

ويضيف أن تكبيد الجزائريين لقوات الاحتلال الفرنسية لخسائر مادية وبشرية فادحة، خصوصًا في الجبهة الشرقية، ستؤدي بالحكومة الفرنسية إلى استعجال توقيع معاهدة للسلم مع المقاومة الجزائرية تفاديا لأي رد فعل من مجلس النواب، وكلفت الجنرال بوجو بهذه المهمة، حيث أرسلته إلى الجزائر لأداء هذه المهمة، فعقدت معاهدة السلم بين الطرفين بتاريخ ٣٠ مايو 1837م، وكانت مجمل بنودها في صالح مقاومة عبد القادر الجزائري.

(23) Hamid Khadija, **Histoire du Maroc à la lumière de l'archéologie: à la recherche de mon identité marocaine**, imprimerie Afrique Orient, Casablanca, 2012, P331.

(24) Ménard André, **Histoire d'Essaouira Mogador.....,op.cit**, P.128.

طوماس بوجو (Th.Bugeaud) ١٧٨٤ـ ١٨٤٩، ضابط فرنسي من كبار بناة الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية، وأبرز المنظرين لقواعدها وأساليب إثباتها قولاً وفعلاً، فهو الذي فتح الجزائر لدى ولايته عليها من ١٨٣٩ إلى ١٨٤٧م، بعدما وضعت فرنسا تحت تصرفه ١٠٨ ألف جندي، (ثلث القوات الفرنسية)، حيث تغلب على مقاومة الأمير عبد القادر، واستولى على "وهران "عاصمة الغرب الجزائري بين يناير وفبراير ١٨٤٢، وهزم الجيش المغربي الذي هرع إلى نصرة المقاومين الجزائريين في معركة ايسلي في غشت ١٨٤٤م، واقتحم الفرنسيون مدينة وجدة. الصديقي عبد الرزاق، **اتفاقية للامغنية وملابساتها، مجلة بحوث**، كلية الآداب المحمدية، العدد ٩، [٩١ـ ١٠١]، ص٩١.

(٢٥) برحاب عكاشة، **شمال المغرب الشرقي ...**، م,س، ص ٩٩.

(26) Girault Arther, **Principes de colonisation et de législation coloniale, seconde édition**, librairie de la société du regueil général de loi et des arrêts, Tome2, Paris, 1904, P365.

ـ الصديقي عبد الرزاق، **اتفاقية لآلة مغنية وملابساتها .....**، م.س، ص٩٢.

(٢٧) أشـرف الجنرال دي لاري والرائد ماري تمبري (Martimpry) على تسطير الحدود الجزائرية المغربية بناء على الوثائق المغربية العثمانية، وتم اختيار ليون روش للدخول فبي محادثات مع سيدي احميدة بن علي، وسيدي احمد بن الخضير ممثل السلطان بوجدة، وتكلف ليون روش بتحضير الأسس التي سيتم عليها تحرير بنود المعاهدة، واستطاع إقناع ممثلي السلطان بحتمية وضع الحدود المغربية الجزائرية وفقا للوثائق العثمانية ليتم السلم نهائيا بين المغرب وفرنسا، ووقع الجنرال دي لاري وممثلي السلطان بعد مفاوضات طويلة مشروع معاهدة للامغنية، والتي تحددت وفق تطلعات الفرنسيين في

مرتكزين كبيرين، أولها اعتراف السلطان بتسطير الحدود الجزائرية المغربية طبقا للوثائق العثمانية، واعتراف السلطان بسلطة فرنسا على الجزائر، وحقها في متابعة القبائل الجزائرية الخارجة عليها على التراب المغربي، وثانيها ابتغت من ورائه فرنسا عبر مفاوضيها السماح لها بحرية التجارة البرية مع المغرب، حيث انتقل ليون روش على وجه السرعة لباريس لينال مشروع هذه الاتفاقية القبول والموافقة من قبل الملك لويس فيليب (١٨٣٠ ـ ١٨٤٨م)، في حين رفض السلطان عبد الرحمان بن هشام (١٨٢٢ـ١٨٥٩م) التوقيع عليها بهذه الصيغة، والتي اعتبر بنودها إهانة لكرامته، ومسا بمصالحه الاقتصادية، والأدهى والأمر مخالفتها للشريعة الإسلامية. يوسف مناصرية، نفسه، ص ٤٧ ـ ٤٨.

(28) Homo Roger, **La Pacification ...**, opcit, p80.

(29) Piquet Victor, **Le Maroc: Géographie...**,op.cit, p177.

(30) Allain Jean Claude, **Agadir 1911: Une Crise impérialiste ....**,op.cit, p10.

يضيف أنه تم رسم الحدود من هذه المنطقة إلى غاية ٣٠٠ كلم في اتجاه ثنية الساسي.- مؤنس حسين، **تاريخ المغرب وحضارته من قبيل....**،م.س، ص٣٩٣.

(31) Julien Charles –André, **Le Maroc Face .....**,op.cit, P.29.- De Chavrebière Coissac, **Histoire du Maroc,** Imprimerie Omnia, Rabat, 2012, P434 .

(32) Benzakour Mohamed, **Le Traité de Protectorat :Fés le 30 Mars .....**,op.cit, p35.

(٣٣) بن بوسلهام خديجة، **المخزن والمجتمع**....،م.س، ص٢٥٣.

(٣٤) سيمو بهيجة، **الإصلاحات العسكرية بالمغرب ١٨٤٤ ـ ١٨١٢م**، منشورات اللجنة المغربية للتاريخ العسكري، سلسلة رسائل وأطروحات رقم ١، المطبعة الملكية، الرباط، ٢٠٠٠، ص ٨١.

(٣٥) التحق ليون روش بالجزائر سنة ١٨٣٢م، وتعلم اللغة العربية، وتظاهر بالإسلام وتزوج مسلمة، وسمى نفسه "عمر ولد الروش"، انخرط كجاسوس في صفوف مقاومة الأمير عبد القادر، وبعدها التحق بالجيش الفرنسي بالجزائر في ١٨٣٩ عندما جمع معلومات حساسة عن مقاومته، وألحق سنة ١٨٤٥م من قبل المارشال "بيجو" بالجنرال " de la RÛE" المكلف من طرف فرنسا بتحديد الحدود بين المغرب والجزائر، ومن الجانب المغربي عين لهذه المهمة "حميدة بن علي الشجعي" عامل السلطان على وجدة.

(٣٦) بن بوسلهام خديجة، **المخزن والمجتمع**....، م.س، ص٢٥٥.

(37) Kenbib Mohammed, **Quelques Mutations de L'Etat et de la Société au Maroc au 19 siècle**, **L'Etat Marocain dans la duree 1850 – 1985**, Imprimerie Fédala, Mohammedia, [19-34], p 20.

(٣٨) سيمو بهيجة، **الإصلاحات**...، م.س، ص ٧١.

(39) Ménard André, **Histoire d'Essaouira Mogador**....,op.cit, P.131.

(٤٠) المعروفي هاشم، **عبير الزهور في تاريخ الدار البيضاء وما أضيف إليها من أخبار أنفا والشاوية عبر العصور**، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الأولى، الدار البيضاء،١٤٠٧هـ /١٩٨٧م، الجزء الأول، ص ٣٣٦. ويضيف: وفي ٦ رجب من سنة ١٣٢٥هـ/ ١٥ غشت ١٩٠٧م بايع أعيان مراكش لسلطان مولاي عبد الحفيظ، الذي لم يكد يحصل على مبايعة عاصمة المغرب، حتى اتجه بنظره إلى قبائل الشاوية لتقوية جانبه، عن طريق دعوة سكانها لعقد البيعة لهم باسم الجهاد المقدس.

(41) Kenbib Mohamed, **Protections –Protectorat.....**,op.cit, P178.

(42) Julien Charles –André, **Le Maroc Face .....**,op.cit, P75.

(٤٣) عين "رينو" وزيرا مفوضا بطنجة في ١٩٠٦م خلفا لـ " Saint René Taillandier"، وتولى وظيفة مساعدًا لبول كامبون بتونس، وعين منذ ١٩٠٤م مندوبا لحاملي أسهم اقتراض ١٩٠٤م بالمغرب، كما مثل فرنسا في مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة١٩٠٦م، تمرس في الشؤون المغربية، وكان من الاستعماريين الداعين إلى ممارسة مزيد من الضغط على المغرب.

(44) Homo Roger, **La Pacification .....**, op.cit.p82.

(45) Benzakour Mohamed, **Le Traité de Protectorat** ....,op.cit, p33.

(٤٦) تافسكا أحمد، **تطور الحركة العمالية في المغرب**، دار ابن خلدون، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٠، ص١١.

(47) Hamid Khadija, **Histoire du Maroc...**,op.cit, P329 .

(٤٨) المنوني محمد، **مظاهر يقظة المغرب الحديث، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة**، مطبعة الأمنية، الطبعة الأولى، الرباط، ١٩٧٣م، الجزء الأول، ص٢٨.

(٤٩) امراني علوي محمد، **تافيلالت: التاريخ ـ الإنسان ـ المجال**، منشورات مؤسسة الأمين للتنمية، مطبعة الودغيريون، الطبعة الأولى، الراشدية، ٢٠١١، ص ٨٥.

(50) Ben Mlih Abdellah, **Structures politiques du Maroc colonial**, L'Harmattan, Paris, P. 67.

(51) Benzakour Mohamed, **Le Traité de Protectorat ...**,op.cit, p18.

(52) Kninah Larbi, **L'Evolution des structures économiques ....**,op.cit, P189.

(53) Ganiage Jean, **Histoire Contemporaine.....**,op.cit, P377.

(٥٤) بدر مصطفى، **بناء مرسى الدار البيضاء ١٩١٣ـ١٩٢٣م، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ**، كلية الآداب أكدال بالرباط، الموسم الدراسي ٢٠٠٣ ـ ٢٠٠٤. ص٨٩. من المجموعات المالية التي كان لها علاقة مالية بالمخزن، المجموعة الفرنسية "لوكنتوار ديسكونت" Le Comptoir d'Escompte منذ ١٨٨٦م، حيث كانت تتحكم في العديد من الوكالات التي وجدت بعدة مدن مغربية، لكن على اعتبار انه كان بنك للإيداع وليس بنك للأعمال، وكانت هناك مؤسسات

أخرى مثل "موز باريانت" Moses Pariente، و "بنك اسحاق ناحون" Isaaac Nahon بطنجة الخ.

(٥٥) حليم عبد الجليل، **التحديث القروي ورأسملة الزراعة المغربية: تطور العلاقات بين البوادي والمدن في المغرب العربي**، منشورات كلية الآداب الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم ١٠، ١٩٨٨، [٥٣ـ ٦٥]، ص٦٠ـ ٦١.

(56) Hamid Khadija, **Histoire du Maroc...**, op.cit, P330.

(٥٧) السبتي عبد الأحد، **بين الزطاط وقاطع الطريق: أمن الطرق في مغرب ما قبل الاستعمار**، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، ٢٠٠٩م، ص٢.

(57) Lugan Bernard, Histoire **Histoire du Maroc des origines à nos jours**, imprimeries Bussières camedan, Saint-Amand-Montrond, 2000, P. 227.

(58) Ibid, p 228 .

(٥٩) مؤنس حسين، **تاريخ المغرب وحضارته .....**، م,س،ص٣٩٨.

(٦٠) عياش البير، **المغرب والاستعمار ...**، م.س، ص ٧٢.

(61) Benzakour Mohamed, **Le Traité de Protectorat .....**,op.cit, p18.

(٦٢) بنمنصر عادل، **الحماية وخطورة الفكر الاستعماري: قراءة في بعض تقارير المارشال ليوطي**، مجلة كلية الآداب بالجديدة، عدد ٦، ٢٠٠١، [٣٥ ـ ٦٩]، ص ٥٦.

(٦٣) في ٢٠ يوليوز ١٩٠١ وقع "دلكاسي " عن الجانب الفرنسي، و "ابن سليمان " عن الجانب المغربي اتفاقية تسوية مشكل الحدود المغربية الجزائرية .

(64) Allain Jean Claude, **Agadir 1911**....,op.cit, p10.

(65) برحاب عكاشة، **شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال.....**، م.س،ص ٣٢٥.

(66) Ganiage Jean, **Histoire contemporaine du Maghreb**, fayard, paris, 1978, p380.

- برحاب عكاشة، **شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال**.....، م.س، ص ٣٣٠ - ٣٣١.

(67) Taleb Abdesselam, **L'Organisation Financière de l'Empire Marocain**, Librraire Émile Larose, Paris, 1911, P92.

(٦٨) برحاب عكاشة، **جوانب من قضايا مناطق الحدود في العهد الحفيظي (١٩٠٧ ـ ١٩١٢)**، بحوث، كلية الآداب المحمدية، العدد العاشر، ٢٠٠٢، [٧٥ ـ ٨٨]، ص٧٦.

(٦٩) من أقطاب تحفيز التوسع الاستعماري الفرنسي بالمغرب خاصة في بدايات القرن ٢٠م نجد في المقدمة "رينو " ثم الحاكم العام الفرنسي بالجزائر "جونار Jonnart" ، الذي شجع منذ ١٩٠٥م اعتماد سياسة تقوم على تجاهل السلطات المغربية، وتشجيع زعماء الفتنة بالحدود الشرقية كالطيب ولد بوعمامة، و"بوحمارة" ، إضافة إلى تشجيع الشركات الفرنسية على التعامل مع هذا الثائر الأخير، وبذل الأموال لاستقطاب العملاء جراء المقاومة الشعبية الشرسة بالحدود الشرقية .

(70) A.Hoisington.Jr. William, **LYAUTEY and the french conquest of Morocco**, Martin's Press,New York, P22.

(71) Ganiage Jean, **Histoire contemporaine.....**,op.cit, p380.

(72) Paul Huet Jean, **Hubert Lyautey (1854-1934) «La joie de l'âme est dans l'action»**, Anovi, 2012, P15.

(73) Pennell C.R., **Morocco since 1830.....**,op.cit, p26.

(٧٤) المحمدي علي، **النسق المخزني ومسألة الاستمرار: التقليد والتجديد**، سلسلة بحوث ودراسات رقم ٤٢، كلية الآداب الرباط، الرباط، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، ص ١٢٧ ـ ١٢٨ ـ ١٢٩.

(٧٥) نفسه، ص ١٢٩ـ ١٣٠.

(٧٦) بن بوسلهام خديجة، **المخزن والمجتمع في النصف الأول من.....**، م.س، ص٢٠٤ - ٢٠٥.

(77) Piquet Victor, **Le Maroc: Géographie...**, op.cit, Pp. 104 - 105.

(٧٨) الناصر عبد الواحد، **التدخل العسكري الأجنبي في المغرب: قراءة في جيوستراتجية المغرب خلال القرن ١٩م وأوائل القرن ٢٠م**، تقديم عبد الهادي التازي، مطبعة إليت، سلا، ١٤٢٠هـ /١٩٩١م، ص ٧١.

(٧٩) **نفسه**، ص ٧٢.

(80) Pennell C.R., **Morocco since 1830.....**, op.cit, p74.

(٨١) بياض الطيب، **المخزن والضريبة والاستعمار: ضرسية الترتيب**، إفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠١١، ص٢٢.

(٨٢) حسني علي، **التحول المعاق- الدولة بالمغرب الحديث....**، م.س، ص١٤٣.

(٨٣) العطاوي عبد الرحيم، **المغرب وروسيا: المغرب وروسيا عبر التاريخ – الكتابات الروسية حول المغرب**، منشورات كلية الآداب الرباط، سلسلة دراسات بيبليوغرافية رقم ١٠، دار أبي رقراق، الطبعة الأولى، الرباط، ١٤٣٢هـ /٢٠١١م، ص. ٣٧-٣٨.

(84) Kninah Larbi, **L'Evolution des structures économiques ....**,op.cit, P.191.

(٨٥) فخار خالد، **السياسة الجبائية عند الحسن الأول (١٨٧٣-١٨٩٤م)**، السلسلة المغربية للعلوم والتقنيات الضريبية، مطبعة الأمنية، العدد ١١، الرباط، ص.٣٨ -٣٩-٤٠.

(86) Piquet Victor, **Le Maroc: Géographie...**, op.cit, p199..

(87) Lyautey. H, **Paroles D'Action: Madagascar - Sud Oranais - Oran - Maroc, paris (1900 -1926)**, Editions la Porte, Paris, 1995.

(88) Rivet Daniel, **Lyautey et L'institution du protectorat Français Au Maroc 1912- 1925,** L'Harmattan, Tome 1, 1988, p 40.

(٨٩) مشيش العلمي مصطفى، **القنيطرة: ميلاد المدينة والحركة الوطنية، القنيطرة**، البوكيلي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ١٩٩٨، ص ١١.